# الشعر العربي والإتجاهات الجديدة في عصر النهضة الأدبية

نجم الدين الحاج عبد الصفا*

Abstrak

Makalah ini memuat perkembangan puisi Arab dan usaha-usaha pembaharuan pada zaman moderen. Usaha tersebut terjadi karena adanya kontak antara kesusastraan Arab dengan kesusastraan barat yang dimulai dengan datangnya *al-hamlah al-faransiyah* di Mesir. Pada zaman ini muncul aliran baru dalam puisi Arab seperti Aliran Klassik Baru, Aliran Romanse dan Aliran *al-Waqi'iyah*. Disamping itu, lahir juga beberapa jenis puisi Arab seperti *al-shi'r al-Ghinaiy*, *al-shi'r al-malhamy, al-shi'r al-qisasy, al-shi'r al-masrahy,al-shi'r tamthily, al-shi'r al-ta'limy, al-shi'r al-hurr.*

الشعر من الفنون الأدبية ، بل وأهم أنواعها بالنسبة للفنون الأدبية الأخرى . وإذا سمعنا كلمة " الأدب " أو تحدثنا عن الأدب ، فأول شيئ يتبادر فى الذهن هو الشعر ، حتى صار الحديث عن الأدب هو الحديث عن الشعر ذاته .

والشعرعند العرب فن قديم يعرفونه حق المعرفة ، وكانوا ينظمون الشعر منذ عصر يرجع إلى ماقبل الإسلام بفترة طويلة ، وتعرف هذه الفترة في تاريخ الأدب العربي بالعصر الجاهلي ، وهؤلاء كانوا يقرضون الشعر بسليقتهم وطبيعتهم . وهكذا الحال عند الشعراء العرب عبر عصور الأدب العربي لا يتطور الشعر العربي آنذاك مثل تطوره في عصر النهضة الأدبية .

وبناء على التطور الذي مرعليه الأدب العربي في عصر النهضة فإن الإتجاهات والتيارات الجديدة تعددت في الشعر العربي الحديث ، واختلف الشعراء في ثقافاتهم ونواحي التأثير التي عملت على تكوينهم . فمنهم من اقتصر على الأدب العربي القديم ، ووجد فيه المثل الأعلى الذي يحتذيه . ومنهم من اطلع على الآداب

* * *Dosen Jurusan Sastra Asia Barat Universitas Hasanuddin, Makassar*

الأوربية واستهوته مذاهبها ، فانصرف عن القديم ليجاري الغربيين فيما ذهبوا إليه . ومنهم من جمع بين الأدب العربي والأدب الغربي ، وأفاد من كليهما ، وأصبح قادرا على أن يزود الأدب العربي الحديث بالعناصر القوية الجديدة ، ويفتح أمامه السبل للتقدم والتطور بما يناسبه العصر والذوق .

وفي هذا البحث سوف يعرض الباحث الحديث عن الشعرالعربي في عصر النهضة الأدبية مع الإشارة إلى الإتجاهات الجديدة ، والعوامل التي تؤدي إلى النهضة ، وكذلك الآثار الأدبية التي نتجت عنها وإن كانت على سبيل الإيجاز والإختصار .

**عصر النهضة**

بدأ هذا عصر النهضة بدخول الفرنسيين مصر بقيادة نابليون سنة ١٧٩٨ م . وكانت الحملة الفرنسية أول احتكاك واسع ومباشر بين مصر والحضارة الأوربية بعد عزلة طويلة فرضها العثمانيون على مصر والبلاد العربية ، وكانت من أسباب ضعفها وتخلفها .

وكان السبب في تسمية هذا العصر بعصر النهضة هو أن الأدب العربي – شعره ونثره – نهض في هذا العصر في موضوعاته وأفكاره وصوره وأساليبه ولغته ، فصار أدبا قويا مزدهرا يختلف في شكله ومضمونه عن الأدب فى العصر العثماني الضعيف المتهالك ( البدري ص ١ ) .

وبدأت هذه النهضة في مصر ولبنان ، لأنهما سبقتا كل الأقطار العربية فى الإتصال بالحضارة الأوربية ، ويقول الدكتورعلى شلق (١٩٧٤: ٤٦) : "ولعل مصر ولبنان كانتا أسبق بلاد العرب إلى مشارف التوعية ، وأغزرها عطاء أدبيا نظرا إلى موقعهما على شاطئ البحر المتوسط ملتقى حضارات الشرق والغرب ، ولما لهما من مكانة علمية ، وينابيع للمعرفة ، يقبل عليها العطاش من مختلف بلاد العالم . ففي مصر الأزهر العتيد ، والجامة المصرية . وفي لبنان جامعتان آنذاك ، ومدارس مختلفة

لزرع الضوء فى الأذهان ، وأمواج البحر مافتئت تقدم لهما روادا من الغرب ، وتحمل منهما طلابا إلى مختلف جامعاته " .

وقيل إن لبنان سبقت مصر فى الإتصال بأوربا عن طريق الإرساليات المسيحية الأوربية التي توافدت عليه ، ولكن دورها فى النهضة العربية كان محدودا . وكان لمصر الدور الأكبر بحكم مكانتها في العالم العربي ، وقدرتها على العطاء والتأثير( منصور ١٩٧٧: ٥٩) . وهذه النهضة تعتمد على قاعدتين عريضتين ، وهما : **الأولى** الإتصال بالحضارة الأوربية المزدهرة . **والثانية**_الإتصال بالتراث العربي في عهود قوته . وقد تم الإتصال بهاتين القاعدتين عن طريق وسائل أو عوامل عشرة ، هي التعليم والبعوث والرحلات والهجرة والترجمة والطباعة والمكتبات والصحافة والجماعة الأدبية والمجامع اللغوية والمستشرقون والمسرح والإذاعة ( البدري ص ١ ) . وكل عامل من هذه العوامل المذكوة كان وسيلة للإتصال بالقاعدتين معا ، ولكن بعض هذه العوامل كان أوثق ارتباطا بالحضارة الأوربية ، وبعضها الآخر كان أوثق ارتباطا بالتراث العربي في عهود قوته وازدهاره .

وقد تم الإتصال بالحضارة الأوربية بوسائل كثيرة ، ولكن أهمها الحملة الفرنسية وما أعقبها من نهضة تعليمية بدأت في عهد محمد علي ، وسارت على نهج أوربا وعلومها . وكذلك عن طريق البعوث والرحلات والهجرة واستقدام المعلمين من أوربا والترجمة والمستشرقين ووسائل الأعلام كالصحافة والمسرح وغيرها (البدري ص ١) .

وقد بين محمد عبد الحميد البدري (ص ١) أن هذا الإتصال بين الأدب العربي والأدب الغربي له أثر واضح في ناحيتين :

الأولى : في النثر .

ونستطيع أن نرى أثرهذا الإحتكاك الأدبي فى النثر العربي فيما يلي :

١- اتساع مجالاته ، وتنوع موضوعاته ، حتى أصبح يعبر عن حياة المجتمع وقضاياه السياسية والإجتماعية .
٢- اختفاء الفنون القديمة كالرسائل والمقامات .
٣- ظهور فنون جديدة كالمقال والقصة والمسرحية .
٤- ميله إلى التحليل والبسط .
٥- تأثره بالدراسات النفسية والإجتماعية .
٦- تجديد الأفكار والصور والأساليب
٧- التخلص من قيود الصنعة والمحسنات البديعية ، والميل إلى الأسلوب المرسل المتحرر.
٨- سلامة اللغة مع الإتجاه إلى السهولة واليسر.

الثانية : فى الشعر .

ونستطيع أن نرى أيضا بوضوح أثر هذا الإحتكاك الأدبي فى الشعر العربي كما يلي :

١- اختفاء بعض الأغراض القديمة ، كالمدح والهجاء والفخر بصورها القديمة ، والأغلب عليها الطابع الوطني .
٢- إتجاه الشعر إلى الأغراض القومية والوطنية والسياسية والإجتماعية ، وارتباطه بحياة الجماهيرومشاكلها .
٣- ظهور الشعرالمسرحي مع محاولات لنظم الملاحم .
٤- تأثره بالمفاهيم الجديدة كالتجربة الشعرية والوحدة الفنية أو العضوية للقصيدة .
٥- ظهور المدارس الشعرية الحديثة كالكلاسيكية والرومانسية والواقعية .
٦- تطور بناء القصيدة ، وامتداد التجديد إلى الأوزان والقوافي .
٧- الإبتكار في الصور والأخيلة ، والميل إلى الصور الكلية .

٨- التحرر من قيود الصنعة والمحسنات المتكلفة .

وقد تم أيضا الإتصال بالتراث العربي في عهود قوته وازدهاره بوسائل كثيرة ، كان أهمها إحياء كتب التراث بتحقيقها وطبعها وتيسير الإطلاع عليها . وكان لرواد الإصلاح والجماعات الأدبية والمجامع اللغوية والمستشرقين ودور الكتب فضل لا يمكن إنكاره في هذا السبيل . وكذلك كان لهذا الإتصال أثر واضح ، ولكن هذا الأثر متشابه فى الشعروالنثر على السواء ، وهو :

١- اقتباس موضوعات القدماء ، وخاصة فى الجوانب الدينية والقومية .
٢- تخلص الأساليب من الركاكة والضعف .
٣- نقاء اللغة وسلامتها وبعدها عن العامية .
٤- التحرر من ألوان الصنعة والمحسنات المتكلفة .
٥- العناية بقوة الأداء وجمال الصياغة .

وهذه هي صورة موجزة عن النهضة الأدبية العربية والعوامل العشرة . وإن هذه العوامل هي التي تؤدي إلى هذه النهضة فى العصر الحديث ، لأنها هي التي ربطت بين هذا الأدب وبين المنبعين اللذين استمدت منهما قوته وازدهاره ، وهما الحضارة الأوربية الحديثة والتراث العربي الأصيل . وإن هذه العوامل لم تظهربصورة واحدة في كل الأقطار العربية ، ولكنها بدأت في بعض الأقطارقبل بعضها الآخر، وظهرت ضيقة النطاق ، ثم امتدت واتسعت حتى ازدهرت ، وآتت ثمارها فى النهاية.

**الشعر العربي وأنواعه**

بالنظرإلى اختفاء ذاتية الشاعر وعدم اختفائها في نتاجه الشعري ، فالشعرالعربي له أجناس ثلاثة : جنس ذاتي هو الشعر الغنائي ، وجنسان موضوعيان ، هما الشعر الملحمي والشعر المسرحي . وفي الواقع أن هذا التقسيم قد وجد منذ

عصرأفلاطون وأرسطو ، حيث كان أفلاطون يرجح جانب الشعر الغنائي على شعر المسرحيات والملاحم ، على حين لم يعتد تلميذه أرسطو بالشعر الغنائي ن فلم يعالج سوى المسرحيات والملاحم في نقده (هلال ١٩٧٣: ٣٧٣) . وعلى الرغم من ذلك فإن الشعر الغنائي والشعر الموضوعي يسيران حنبا إلى حنب ، فوجدت الملاحم والمسرحيات إلى جانب التغني بالمشاعرالذاتية ، وبفضائل الأبطال .

وفيما يلي نوجه حديثنا عن الشعر العربي بأنواعه الثلاثة الغنائي والملحمي والمسرحي .

أولا : الشعر الغنائي

الشعر الغنائي هوشعر ذاتي يتغنى به الشاعر بعواطفه ودخائل نفسه ، وهو يكون على شكل قصائد محدودة بالعالم الفردي للشاعر(البدري ص ٣) . فيرى هردر الألماني (١٧٤٤- ١٨٠٣) أن الشعر الغنائي هو التعبير الكامل عن الخلجات النفسية في أعذب لغة صوتية (هلال ١٩٧٣: ٣٧٣).

والشعر الغنائي أقدم أجناس الشعر وأكثرها انتشارا ، ومنه الشعر العربي كله من العصر الجاهلي حتى بداية العصر الحديث . ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال (١٩٧٣: ٣٧٥) أما الشعر العربي فواضح أنه في جملته قبل عصرنا الحديث كان مقصورا أو يكاد على المجال الغنائي . وحين نشأت المسرحيات فى العصر الحديث تأثرت في طابعها العام بالكلاسيكية والرومانتيكية في بادئ أمرها ، فكانت المسرحيات الشعرية ، وأوضح مثال لها مسرحيات شوقي ومسرحيات الأستاذ عزيز أباظة ، ثم غلب الإتجاه العالمي على المسرحيات العربية ، فانفصلت عن الشعر، وصارت في جملتها نثرية ، واختص الشعر بمجال الوجدان ، شأنه في العربية شأن الإتجاه العالمي العام .

ولكي يكون الحديث في هذا واضحا ، فكان من الأولى أن يتعرض الباحث عن موضوعات الشعر الغنائي وتطورها فى العصر الحديث . فموضوعات الشعر الغنائي قبل العصر الحديث تدور حول الغزل والوصف والفخر والحماسة والمدح والرثاء والهجاء . ولكن هذه الموضوعات تطورت بعد اتصال العرب بأوربا في العصر الحديث وقيام النهضة العربية ، كما نرى فيما يلي :-

أ- الغزل

انتقل الشعر من وصف محاسن جسد المرأة إلى وصف الشعور وخلجات النفس وتأثير الحب فيها .

ب- الوصف

انتقل الشعر من رسم المشاهد الظاهرة إلى وصف وقعها في وجدان الشاعر، وإلى الإندماج في الطبيعة ، وتشخيص عناصرها وبث الحياة فيها .

ج - الفخروالحماسة

انتقل الشعرمن المجال الفردي أو القبلي إلى الفخر بالأمة ووصف معاركها وبطولاتها وأمجادها .

د - المدح والرثاء

انتقل الشعر من مدح الحكام والأفراد للرهبة أو للرغبة إلى مدح زعماء الأمة وأبطالها ، والإشادة بتضحياتهم ومبادئهم ، وكذلك في الرثاء .

هـ - الهجاء

انتقل الشعر من السباب الشخصي والقبلي ، وصار نقدا سياسيا واجتماعيا ينقد السياسة الإستعمارية وعيوب المجتمع ، ويصور مشاكل الأمة .

ثانيا : الشعر الملحمي أو القصصي

الشعر الملحمي أو القصصي هو شعر موضوعي تختفي فيه ذات الشاعر، وتظهر روح الأمة في قصة شعرية تصورمعارك الأمة وانتصاراتها وأبطالها ، وتطول

حتى تزيد على آلاف الأبيات ، وتعتمد على الأسطورة والمبالغة (البدري ص ٣) . ومن أشهر الملاحم العالمية " الإلياذة " و " الأوديسا " في الأدب اليوناني و " الشاهنامه " فى الأدب الفارسي . وقد ترجمت إلى اللغة العربية ، وحاول شعراء العرب تقليدها .

ولعل سائلا يسأل : هل عرف الأدب العربي فن الملاحم ؟ نعم ، فإن الأدب العربي قد عرف فن الملاحم منذ العصر الجاهلي . ففى العصر الجاهلي ظهرت بذورالملحمة في شعر الحماسة ووصف المعارك والبطولات فيما يسمى بأيام العرب ، ولكن ذلك ليس شعرا ملحميا لقصرالقصائد ، ولأن نظامها فردي أوقبلي ضيق ، ولخلوها من الأسطورة .

وفي العصور الوسطى ظهرت الملامح الشعبية كقصص عنترة وأبي زيد الهلالي والزير سالم ، ولكن لغتها عامية ، وشعرها يختلط بالنثر ، والأسطورة فيها ضعيفة . وفى العصر الحديث ظهرت محاولات لكتابة الملاحم ، ومنها " حكاية العاشقين " و " فتاة الجبل الأسود " لمطران ،ولكنها تخلوان من الأسطورة . وكذلك ظهرت " الإلياذة الاسلامية " لأحمد محرم ، وهي تحكي بطولات المسلمين الأوائل ، ولكنها تخلو من الأسطورة ، ويغلب عليها الطابع الغنائي .

ومما يجدر أن نبين هنا أن الملحمة في الأدب العربي لم تنجح ، لأن العقلية العربية واقعية تنفر من الأساطير، ولا تقدس الأفراد ، ولأن الشعر العربي بأوزانه وقوافيه لا يتسع للملاحم التي تطول وتصل إلى آلاف الأبيات .

ثالثا : الشعر المسرحي أوا لتمثيلي

الشعر المسرحي أو التمثيلي هو شعر موضوعي تختفي فيه ذات الشاعر ، ويقوم على الحوار والحركة بين الشخصيات (البدري ص ٤) . والسؤال الآن هو :

كيف تطور الشعر المسرحي فى الأدب العربي ؟ والجواب : فإن الشعر المسرحيفى الأدب العربي تطور بمراحل :

أ - عرف الفن الشعبي ، مثل " خيال الظل " ليعقوب صنوع (١٨٣٩- ١٩١٢) ، ولكنه لم يكن فنا مسرحيا حقيقيا (شلق ١٩٧٤: ٣٠٥) .

ب- بدأ العرب يعرفون المسرحيات الشعرية بعد اتصالهم بأوربا .

ج - وكانت الخطوة الأولى مسرحية " المروءة والوفاء " لخليل اليازجي (١٨٥٦- ١٨٨٩) . وعلى الرغم من أن هذه المسرحية بلغت ألف بيت ، ولكنها ضعيفة في لغتها وتكوينها الفني (الدسوقي ١٩٦٧: ٣٠٦/٢) .

د - ثم كتب أبوخليل القباني (١٨٨٤- ١٩٠٠) تمثيليات ، منها " ناكر الجميل " و " عنترة " ، ولكن أسلوبها مزيج من الشعر والنثرعلى طريقة المقامات (شلق ١٩٧٤: ٣٠٤) .

هـ - وكانت مسرحيات أحمد شوقي (١٨٦٨- ١٩٣٢) فتحا جديدا بأسلوبها العربي ، وحبكتها الفنية ، وظهور ملامح شخصيتها وإن غلبتها الروح الغنائية ، منها " مجنون ليلى " و " مصرع كليوباتره " و " عنترة " و " الست الهدى " (الدسوقي ١٩٦٧: ٣٠٦/٢-٣٠٧) .

و- ظهرت مسرحيات عزيز أباظة ، منها " شجرة الدر " و " الناصر " و " العباسة " ، وهي أكثر حركة واقترابا من روح الشخصيات ، ثم توالى ظهور مسرحيات شعرية لشعراء آخرين (الدسوقي ١٩٦٧ : ٣٠٧/٢) .

المدارس الشعرية في عصرالنهضة

لا شك في أن الحملة الفرنسية كانت نقطة بدء في وصل المصريين بالغرب ، وفي فتح عيونهم على حياة جديدة وحضارجديدة ،كان لها أثرها فيما بعد في البعث الحضاري والنهضة الثقافية والتجديد الأدبي التي حدثت في مصر. ومنذ ذلك

العصرظهرت مذاهب أدبية ، لأن كل مذهب من المذاهب الأدبية يمثل الإتجاه الفكري والفني والإجتماعي الذي يعكس روح العصر التي نشأ فيه ، ويصورمثله ، ويستجيب لحاجاته ، ويشارك في نشاطه ، ويمثل اتجاهاته ، ويقود إمكانياته ، فهو وليد العصروظروفه . والعصرهو الذي يفرضه على كتابه ومفكريه ، ويوحي به إليهم (ضيف ١٩٧٧: ٢٥٨/٣) .

ففي عصر النهضة الأوربية لم يجد الكتاب والمفكرون بدا من الرجوع إلى الأدب اليوناني واللاتيني يحاكونه ويحتذونه ، إذ لم تورثهم العصور الوسطى المظلمة أدبا يغنيهم عن هذا التقليد ، ومن ثم كانت الكلاسيكية . وكان ظهور الرومانتيكية نتيجة لرواج الفلسفة العاطفية في القرن الثامن عشر، ونهوض الطبقة الوسطى ، وتطلعها إلى نيل حقوقها السياسية والإجتماعية. ومن هنا ظهرت في الميدان الشعري مدارس شعرية ، لأن كثيرا من الشعراء العرب في العصور المتأخرة كانوا يقومون بالمحاولات التجديدية في الشعر العربي ، لأنهم كانوا يتأثرون بالتجديدات التي نتجت عقب النهوض العلمية والثقافية والأدبية التي تسود الدول الأوربية حينذاك . وقال صاحب كتاب " الأدب والنصوص " (١٩٧٧: ٢٥٩/٣) كان للأحداث الوطنية والتطور العلمي فكريا وماديا ، وللثقافة العربية ، وللشعراء المهاجر أثر كبير في دفع حركة التطور والتجديد فى الأدب عامة ، والشعر خاصة .

ولهذا نستطيع أن نرى بوضوح ملامح هذا التجديد فى النقاط الآتية :

١. تطور أغراض الشعر من مدح وهجاء وحماسة وفخر ورثاء وغزل ووصف وشعرقومي وشعرديني وشعرتعليمي وتأملي .
٢. تطور القالب الشعري .
٣. تطور الأسلوب الشعري .
٤. تطور الفن الشعري ، فوجدنا الشعر القصصي والشعر المسرحي (ضيف ١٩٧٧: ٢٥٩/٣) .

وبناء على هذا التطور الذي مر به الشعر العربي تكونت مدارس شعرية متعددة نستطيع أن نجملها إلى ثلاث مدارس ، وهي :

١- المدرسة الكلاسيكية الجديدة .
٢- المدرسة الرومانسية .
٣- المدرسة الجديدة أو الواقعية .

وبيان كل مدرسة من هذه المدارس فيما يلي :

الأولى : المدرسة الكلاسيكية الجديدة

وسميت أيضا هذه المدرسة بـ " مدرسة الإحياء والبعث " و " المدرسة الإتباعية " ، ولكنها اشتهرت باسم " المدرسة الكلاسيكية الجديدة " . وهذه المدرسة ظهرت في القرن السابع عشر الميلادي في إيطاليا ، ثم انتشرت في أوربا كلها ، وبدأت بفنون غير الشعر ، ثم انتقلت إلى الشعر . ومن أهم الخصائص العامة التي تتميز بها الحركة الكلاسيكية أنها تحرص على جمال العقل ، وتلتزم بالقواعد والأصول الفنية الموروثة (البدري ص ٣ ) .

والمدرسة الكلاسيكية ظهرت فى الشعر العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . ورائد هذه المدرسة هو الشاعر المعروف محمد سامي البارودي (١٨٣٨- ١٩٠٤) . فالبارودي نهض بالشعر من قاع الضعف الذي كان فيه فى العصر العثماني وبداية العصر الحديث ، فنفخ فيه من روحه ، ورد له الحياة والشعر .

وهناك شعراء يتبعون البارودي في هذه الحركة ، منهم إبراهيم اليازجي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وعبد المطلب وعلى الجارم ، وهؤلاء من

مصر. ومن العراق : معروف الرصافي . ومن لبنان : بشارة الخوري . وأما مظاهر التجديد في شعرهم فيمكن أن نستلخص في النقاط الآتية :

١- كان شعرهم مرآة لأحداث عصرهم ، وقضايا وطنهم ، ومشكلاته السياسية والإجتماعية ، ولذلك لقي رواجا كبيرا .
٢- إنهم كانوا يعبرون عن مشكلاتهم الذاتية .
٣- وهؤلاء خلصوا الشعر من قيود الصنعة والمحسنات .
٤- فتحوا للشعرمجالات جديدة بما قالوا في الشعر السياسي والإجتماعي والتاريخي والقصصي وشعرالأطفال .
٥- كتب بعضهم الشعرالمسرحي ، وحاولوا نظم الملاحم (البدري ص ٣) .

فلما كان البارودي يعد زعيم المدرسة الكلاسيكية في الشعرالعربي بمحاكاته للشعراء القدماء في المنهج والصياغة ، ومعارضاته لهم فى البحور والقوافي نأخذ بعضا من شعره مثالا أوضح لهذه المدرسة الأدبية ، وهو يقلد الشعراء الجاهليين لوقوفهم على الأطلال :

ألا حي من أسماء رسم المنازل + وإن هي لم ترجـ ـع بيـانا لسـائـل
خـلاء تعفتها الروامس والتقـت + عليها أهاضيب الغيوم الحوامـل
فـلأيا عـرفت الـدار بعـد ترسـ ـم + أراني بها ما كان بالأمس شاغل (ضيف ١٩٧٧: ٣٧٧/٣)

ومثل هذه المحاكاة يستطيع كل قارئ أن يرى بوضوح في شعر أحمد شوقي " نهج البردة " لمعارضته الإمام البوصيري في شعره المشهور باسم " البردة " .

الثانية : المدرسة الرومانسية

وقد أطلق أيضا على المدرسة الرومانسية باسم " المدرسة الإبتداعية " ، لأنها ابتدأت في الشعر نهجا جديدا . والحركة الرومانسية ظهرت فى القرن الثامن

عشرالميلادي ، وبدأت بألمانيا ثم عمت أوربا ، ولم تقتصر هذه الحركة على الأدب ، ولكنها صارت طابعا للعصر بجميع فنونه ، حتى سموها " مرض العصر " .

فلما كانت هذه المدرسة تعتمد على العاطفة والخيال فأدبها يسمى " أدب العاطفة والخيال " ، لأنها بمثابة رد فعل مضاد للنزعة العقلية التي سادت الكلاسيكية . وتقوم هذه المدرسة على الفلسفة العاطفية ، وينشد الجمال لا الحقيقة ، وينتصر الفرد لا المجتمع ، وغايته الإستجابة للعاطفة لا الأخلاق . وبناء على هذا فإن للرومانسية سمات عامة ، منها :

١- أن الرومانسية ترفض الواقع .
٢- وأنها تمثل روح التمرد والثورة والانطلاق والحرية .
٣- تعلى من شأن العاطفة والخيال .
٤- العكوف على الذات أوالنزعة الفردية .
٥- وأنها تتسم بالحزن والتشاؤم والشعور بالغربة .
٦- وأنها تهدف إلى البحث عن المثل الأعلى في عالم الروح والخيال والأحلام .
٧- وأنها تحاول الفرار إلى الطبيعة والإمتزاج بها (البدري ص ٣ ، منصور١٩٧٧: ١٧٨) .

والمدرسة الرومانسية ظهرت فى الشعر العربي مع بداية القرن العشرين على يد رائدها خليل مطران (١٨٧٢- ١٩٤٩) ، وذلك ما اتضح من خصائصها في شعر مطران المبكر ، والذي يرجع إلى عام ١٨٩٤ ومابعده ، وديوانه الأول الذي ظهر في عام ١٩٠٨ م (منصور ١٠٩٧٧: ١٨٠) . وقد تمثلت هذه الحركة في مدرستين متعاصرتين :

إحداهما داخل الوطن العربي ، بدأت بخليل مطران ، ثم تطورت على يد جماعة الديوان ، وروادها عباس محمود العقاد (١٩٨٨- ١٩٦٤) وعبد الرحمن شكري(١٩٨٨- ١٩٥٨) وإبراهيم عبد القادرالمازني (١٨٩٠- ١٩٤٩) .

وأحيانا يطلق على هؤلاء الثلاثة بـ " الجيل الجديد " ،وهم تأثروا بمطران ، ثم بقراءتهم في الأدب الإنجليزي الرومانسي . ثم تطورت بعد ذلك على يد جماعة أبوللو(١٩٣٠) متأثرة بمطران وجماعة الديوان وشعراء المهاجر. وشعراؤها هم أحمد زكي أبو شادي وإبراهيم ناجي وعلى محمود طه ومحمد حسن إسماعيل ومحمد الهمشري ، وهؤلاء من مصر. ومن السودان التيجاني يوسف بشير . ومن تونس أبو القاسم الشابي . ومن اليمن أحمد الشامي (الصيفي ١٩٧٤: ٧٠) .

فالمدرسة الرومانسية ظهرت فى الوطن العربي لعدة عوامل ، أهمها مايلي :

١- تغير الظروف السياسية والإجتماعية والفكرية .
٢- الدعوة إلى التحرر الوطني ، وتحرير الوجدان الفردي والجماعي .
٣- التأثر بالرومانسيين الفرنسيين والإنجليز .
٤- التمرد على النهج الكلاسيكي ، والدعوة لتغييره ليصبح الشعرأصدق تعبيرا عن ذات الشاعر، وعن الواقع الإجتماعي المتغير(البدري ص ٣ ، منصور١٩٧٧: ١٨١- ١٨٢).

ثانيها خارج الوطن العربي ، وهي مدرسة المهاجر، أو ما يسمى بـ " أدب المهجر " ، لأن كثيرا من اللبنانيين هاجروا من لبنان إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية ، وكونوا فيها جاليات عربية كان لها نشاط أدبي متعددة المظاهر . وأسست في أمريكا الشمالية جعية أدبية ، وهي "الرابطة القلمية " في عام ١٩٢٠م ، وكانت أسرع استجابة للجديد والتأثر به ، ومن أبرز شعرائها جبران خليل جبران (١٨٨٣- ١٩٣١) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩- ؟) وإيليا أبوماضي (١٩٨٩- ١٩٥٧) ونسيب عريضة ، وهؤلاء هم الذين قادوا حركة التجديد في شعراء المهاجر. وأسست أيضا في أمريكا الجنوبية ، وخاصة البرازيل

جمعية أجنبية أخرى ، وهي العصبة الأندلسية . وهذه الجمعية أميل إلى المحافظة ، ودعم الصلات بين الشعرالجديد والشعر القديم . ومن أشهر شعرائهم رشيد سليم الخوري ، وشفيق المعلوف ، وإلياس فرحات .

والأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة ، منها :

١- فساد الحكم العثماني ، وما نشأ منه من استبداد ، وكبت للجريات ، وتعصب ديني .
٢- سوء الحالة الإقتصادية التي أدت إلى فقرالبلاد ، واحتناق الحياة فيها .
٣- تأثير المبشرين الأجانب ، ودعايات السائحين .
٤- الميل الطبيعي عند أهل الشام إلى المخاطرة واحتمال المشقات من كسب لقمة العيش . وقد لقوا في سبيل ذلك أكبر العناء ، ولكن نفوسهم كانت راضية ، لأنهم كانوا يعيشون حياة حرة كريمة (الدسوقي ١٩٦٧: ٢/٢٣٢-٢٣٣)

وأما العوامل التي أثرت في أدب المهجرفهي :

١- شعورهم بجو من الحرية التي لم يتح لهم في الشرق هيأ لهم الإنطلاق في ظل هذا الجو إلى آفاق شعرية جديدة .
٢- تفاعل شخصيتهم الشرقية مع الغرب الجديد ، واتصالهم الوثيق بثقافات أجنبية ، وبألوان أخرى من الأدب تختلف في اتجاهاتها وأساليبها عما ألفوه في الشرق ، فظهرأدب فيه ملامح من الشرق والغرب .
٣- حنينهم إلى وطنهم ، وتمسكهم بقوميتهم العربية ، وارتباطهم بها . كما أنهم لم يجدوا فى الغرب كل القيم التي عاشوا فيها فى الشرق ، فأثر ذلك فيهم ، وجعلهم يعاونون القلق والحيرة والإنطواء على النفس ، والفرار إلى الطبيعة والإندماج فيها (البدري ص ٣) .

الثالثة : المدرسة الجديدة أوالواقعية

غلبت النزعة الرومانسية على الشعر العربي فى المدة الواقعة بين الحربين العالميتين ، ثم جدت فى الحياة عوامل جديدة عملت على انحسارتيارالرومانسية وبروز النزعة الواقعية . وهذه المدرسة نسميها أيضا " مدرسة الحر " أو " مدرسة المنطلق " . ظهرت هذه المدرسة في أعقاب الحرب العالمية الثانية - أي بعد سنة ١٩٤٥- . وعلى الرغم من ذلك فإن بواكير الشعر الجديد بدأت في الظهورعلى أيدي بعض الشعراء العرب الذين جاؤا بشعر يختلف من حيث المضمون والموضوع والشكل عن كل ما كان مألوفا في عالم الشعر. وكان معظم روادها رومانسيين ثم تحولوا إلى الواقعية .

وحديثنا عن الواقعية سنحدد في ناحيتين :

إحداهما : أسباب ظهورالمدرسة الواقعية .

والأسباب التي تؤدي إلى ظهوز هذه المدرسة تتلخص فيما يلي :

١- ما أحدثه الحرب العالمية الثانية من تغيرات سياسية واجتماعية .

٢- الصراع المذهبي بين المعسكرين الشرقي والغربي .

٣- حركات التحرر السياسي والإجتماعي في إفريقيا وآسيا .

٤- إنتشار الثقافات الداعية إلى التحرر وحقوق الشعوب .

٥- هزيمة العرب في فلسطين ، ونكبة الشعب الفلسطيني ، وتأثير ذلك على الشعوب الفلسطينية (البدري ص ٣)

وثانيهما :التجديد الذي دعت إليه المدرسة الواقعية .

وأما التجديد الذ ي دعت إليه المدرسة الواقعية فنستطيع أن نرى من ناحيتين :

أ- من ناحية المضمون .

وشعراء هذه المدرسة يعتبرون أن :

١- الشعر تعبير عن معاناة حقيقية للواقع ، وارتباط وثيق به .

٢- موضوعات الشعر هي نفسها موضوعات الحياة .

٣- للشعر وظيفة إنسانية واجتماعية ، هي :

- محاربة الزيف والفساد والتخلف فى المجتمع .
- مؤازرة حركات التحرر السياسي والإجتماعي .
- الدعوة إلى حياة أفضل تسودها العدالة والسلام .

ب – من ناحية الشكل والأداء .

وشعراء هذه المدرسة غيروا شكل القصيدة وطريقة بنائها وموسيقاها ووسائل التعبيرفيها:

١- أصبحت القصيدة بناء شعوريا يبدأ من لحظة معينة ، ثم يأخذ في النمو والتطور حتى يكتمل بنهاية القضيدة .

٢- تقسيم القصيدة إلى مقاطع .

٣- حل السطرالشعري محل البيت ، والسطريطول ويقصرحسب الدفقة الشعورية .

٤- تنوعت القوافي بغير نظام ثابت لتوزيعها .

٥- اعتمدت على الموسيقى الداخلية وعلى جرس الألفاظ .

٦- ألفاظهم قريبة من لغة الحياة مع إكسابها طاقات تعبيرية .

ومن أشهر شعرائهم هم :

- من مصر : صلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي .
- من فلسطين : فدوى طوقان ، وسلمى الحضراء .

- من لبنان : خليل حاوي ، ويوسف الخال ، وعلي أحمد سعيد .

## الخلاصة

هذا هو عرض موجز للتطورات التي مر بها فن الشعر العربي فى العصر الحديث . وقبل أن أختتم هذا البحث أود أن ألخص ما جاء فيه فأقول :

١- إن الشعر فن قديم عند العرب ، وهم كانوا يعرفون الشعرقبل أن يعرفوا الفنون الأدبية الأخرى . وهؤلاء كانوا يقرضون الشعر بسليقتهم وطبيعتهم . ثم تطور هذا الفن فى العصور المتتالية إلى أن جاء عصر النهضة ، فتعددت الإتجاهات والتيارات الجديدة فى الشعر العربي .

٢- وإن الشعرالعربي في العصر الحديث ينقسم إلى ثلاثة أقسام : وهي الشعر الغنائي والشعر القصصي والشعر المسرحي . وعلى الرغم من ذلك فإن العرب لم يكونوا يعرفون إلا الشعر الغنائي . وأما القسمان الآخران فهم لا يعرفونهما إلا فى العصر الحديث ، وذلك بعد اتصالهم بالحضارة الغربية .

٣- وإن المدرسة الكلاسيكية الجديدة هي التي بعثت أسلوب الشعرالقديم بجزالة ألفاظه ، واستقامة عبارته ، ورصانة صياغته . واتخذ هذا الأسلوب في تصوير الشاعر لحياته ونفسه وحياة قومه وبيئته وعصره تصويرا صادقا ، فكان قوامه تقليدا في الشكل أو الإطار، وتجديدا فى المحتوى أو المضمون .

٤- وإن الشعر فى المدرسة الرومانسية يعتبر إبداعا جديدا فى الشعر العربي الحديث بما حرره من سطوة تقاليد الشعرالقديم ، وبما فتحوا أمامه من آفاق جديدة أكثر إنسانية وعمقا وخصوبة فى التعبير عن أغوار النفس وأسرار الكون والحياة . وقد تطورت هذه المدرسة تطورا ملحوظا ، سواء كانت في داخل الوطن العربي أو في خارج الوطن العربي ، وخاصة فى الأمركيتين الشمالية والجنوبية .

٥- وإن المدرسة الواقعية تحاول أن يكون الشعر تعبيرا عن معاناة حقيقية للواقع ، وارتباط وثيق به ، وأن يكون للشعر وظيفة إنسانية واجتماعية ، وأن يكون الشعرمتحررا من قيود القوافي الواحدة ، ولذلك تنوعت عند شعرائهم بغير نظام .

والله ولي التوفيق .

المراجع


- البدري ، محمد عبد المعطي . بدون تاريخ .جريدة اللغة العربية . القاهرة : المكتبة المصرية .

- الدسوقي ، عمر . ١٩٦٧. فى الآدب الحديث . الجزء الثاني . الطبعة السادسة . بيروت : دار الكتاب اللبناني .

- شلق ، علي . ١٩٧٤. النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصر النهضة والحديث . الطبعة الثانية . بيروت : دار القلم .

- الصيفي ، إسماعيل . ١٩٧٩. خليل مطران . الطبعة الثانية . بيروت : منشورات دار الآداب .

- ضيف ، شوقي . ١٩٧٧. الأدب والنصوص . الجزء الثالث . القاهرة : نهضة مصر .

- منصور ، سعيد حسين . ١٩٧٧. التجديد في شعر خليل مطران . الطبعةالثانية . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- نعيمة ، ميخائيل . ١٩٧٤ . جبران خليل جبران . الطبعةالسابعة . بيروت : مؤسسة نوفل .

- هلال ، محمد غنيمي . ١٩٧٣ . النقد الأدبي الحديث . القاهرة : دار نهضة مصر